جسدي كعنكبوت ناسج لذاكرة هندسيّة مُتشابكة في الفضاء

الدكتور فتحي ميساوي
باحث في جماليات الفنون وممارساتها
جامعة سوسة، تونس

الملخص:

يُسلّط هذا البحث الضوء على مفهوم الجسد المشبّه بالعنكبوت في فن النّسيج، ومحاولة البحث عن حيثيات مظاهره التجريديّة السالبة وأشكاله الهندسيّة المتجذّرة في الممارسات الفنّية المعاصرة. لأتعمّق في دراسة مفهوم الذاكرة الهندسيّة المتشابكة في تقاطعاتها شكلا ومضمونا من خلال جسدي النّاسج، هذه الأسطورة التي تتجلى فيها وعبرها الذوات والأشياء التي تكوّن عالم الحياكة، إنّه الشكل الهندسي المجرّد في الشبكة الخيطيّة والدّلالة التي تنطلق منه وتلتقي عنده كل ملكات التذكّر والإحساس لتتشكّل رؤى إبداعية متفرّدة، يخوض غمارها الجسد في حواره مع العناصر التي تؤسّس الفضاء التّشكيلي الهندسي، للحصول على تأثيرات بصريّة ناجمة عن التكرار، الحركة والتناظر ويرتكز عليها العمل الفنّي عبر ممكنات الحقل الدّلالي وسبل تحقّقه في عالم النّسيج. هذا الجسد العنكبوتي الحاضر بحضور النّاسج الذي كلّما تمعّنا النّظر إلاّ ووجدنا فيه مقوّمات الإبداع والإلهام، الحدس والتصوّر، التّشابك والتقاطع في تشكيل آثار وعوالم فنيّة ذاتيّة لا تتشابه مع أي آثر آخر وذلك لأنّ مكامن الجسد تختلف وتتنوّع من جسد لغيره حسب طبيعة الإنسان وخصوصيات الفنان وذاكرته ومخزونه الموروث من زمن طفولته، هذه الذاكرة الهندسيّة قد ترسم خطوط لمسار تجريدي بنائي لشبكة جسد/عنكبوت...

Abstract:

This research sheds light on the concept of the spider-like body in textile art, and attempts to search for the rationale for its negative abstract manifestations and geometric shapes rooted in contemporary artistic practices. To delve deeper into the study of the concept of geometrical memory intertwined in its intersections in form and content through my weaving body, this myth in which the selves and things that make up the world of weaving are manifested and through it. The body engages in its dialogue with the elements that establish the geometric plastic space, in order to obtain visual effects resulting from repetition, movement and symmetry, and on which the artistic work is based through the possibilities of the semantic field and ways to achieve it in the world of weaving. This spidery body is present in the presence of the weaver. The more we look closely, the more we find in it the elements of creativity and inspiration, intuition and imagination, intertwining and intersection in forming subjective artistic monuments and worlds that are not similar to any other antiquity, because the reservoirs of the body differ and vary from one body to another according to the human nature and the artist's specifics, memory and inventory. Inherited from his childhood, this geometric memory may draw lines for a structural abstract path of a body/spider...

الكلمات المفتاحيّة: الجسد/ الذاكرة الهندسيّة/ التجريد النسيجي/ الشبكة العنكبوتيّة/ الأساطير/ التّشابك/ التقاطع/ التكرار/ الفضاء.

محاور البحث:

- الإطار والشّكل الهندسي في بناء العمل التّشكيلي.
- الجسد المشبّه بالعنكبوت النّاسج، أبعاده الدلاليّة والرّمزيّة.
- البناء النسيجي في الفضاء: تجريد هندسي متشابك ومتناغم.
- تمثّلات الذّاكرة الهندسيّة مرئيًا.
- الأساطير القديمة والذّاكرة الشعبيّة.

المُقدّمة:

انطلاقا من كتابات الفنّان "**آن سوريو/ Anne SOURIAU**، في معجم المصطلحات الإستيطيقيّة إنّ الأشكال الهندسيّة: "هي الأشكال المجرّدة والبسيطة المتكوّنة غالبا من قطع خطيّة مُستقيمة كالمضلعات المنتظمة، أو من خطوط مُنكسرة يتمّ بناءها باعتماد مبدأ إيلادٍ واضح، ولكن أيضًا بعض المنحنيات المتكوّنة أساسًا من دوائر، وتُدعى هندسيّة كلّ الأشكال التي يقع تصميمها بالمسطرة والبركار.."[1]. بالتالي من خلال هذا الإقرار يمكن تعريف الشكل الهندسي بالشكل المجرّد والمبسّط، لكنّه تجريد مُحكم بالمقاسات والنّسب وصولا للتناظر والتّقاطع حدّ التّشابك، هي رحلة خطيّة في ثنايا الفضاء التّشكيلي، عبر خامات ومواد قد تبدو للوهلة الأولى أشياء بسيطة في ظاهرها، لكنّ في باطنها تجربة فنيّة مُشبعة بالمعاني والدّلالات، لاسيما عند حديثنا عن الجسد النّاسج، هذه البُؤرة التي تتجلى فيها وعبرها الذوات والأشياء التي تكوّن عالم النّسيج، إنّه الشّكل الهندسي المجرّد في الشبكة الخيطيّة والدّلالة التي تنطلق منه وتلتقي عنده كل ملكات التذكّر والإحساس، لتتشكّل رؤى إبداعية متفرّدة، يخوض غمارها الجسد في حواره مع العناصر التي تؤسّس الفضاء التّشكيلي الهندسي، للحصول على تأثيرات مرئيّة ناجمة عن تكرار الأشكال وحركة الخيط بلونه الأحمر الفاقع، ويرتكز عليها العمل الفنّي عبر ممكنات الحقل الدّلالي وسبل تحقّقه في عالم الحياكة. هذه التجربة الحسيّة التي سأختزل من خلالها ما هو مرئي في قالب أشكال هندسيّة مُتبلورة ضمن صيرورة شكليّة وتجريديّة متجاورة للحصول على تأثيرات بصريّة ناجمة عن التكرار والتناظر مستعملا في ذلك تعدّد الأشكال والخطوط المنسوجة كمفردات تشكيليّة أثري من خلالها أعمالي الفنيّة وأخضع العمل لسلطة الشّكل ولعبة التغيّرات عند تعدّده وتكرارِه في علاقته بالإطار الخارجي للعمل، هذا الإطار الدائري الذي جعلت منه موضوع بحث، لأتعمّق في شكله المبسّط، ليصبح نواة العمل الفنّي ذاته، إذ يرى الفنّان "**فرانسيس باكون/ Francis BACON**" أنّ الإطار يمثّل جزءا مهما في العمل الفنّي لأنّه يساهم في إبرازه فيقول: "أنا أخيّر أن تكون أعمالي مُؤطرة وتحت البلّور.. الإطار شيء اصطناعي وهو هكذا حاضر ليؤكّد على الطّابع الاصطناعي للرّسم، فكلّما برز الطّابع الاصطناعي للّوحة، كلّما كان أحسن.."[2]. لذلك إنّ ارتباط الشكل بالإطار أمر محتوم لا يمكن الفصل بينهما لأنّ كلاهما يكمل الآخر، خاصّة في تجربتي التشكيليّة التي أوليت فيها للإطار الدائري والشكل الهندسي الأهميّة الكبرى، من خلال هذا الشكل الهندسي اللا مُتناهي الذي نسجت من خلاله معالم ذاتيّة خاصّة في علاقة مُباشرة بجسدي الناسج، المختلف شكلا ومضمونا المشبّه بالعنكبوت ضمن مقاربة تشكيليّة جمعت فيها بين قوّة التقنية وعمق المفهوم وسلطة الشكل الهندسي ذا الأبعاد التجريديّة البسيطة والمعقّدة في الآن ذاته..

ففيما يكمن بناء العمل التّشكيلي بحضور الشكل التجريدي والإطار الهندسي؟ وفيما تتحدّد الأبعاد الدلاليّة والجماليّة لجسدي المشبّه بالعنكبوت النّاسج لفضاء هندسي متشابك ومتناغم؟ وإلى أي مدى يمكن تشكيل الذاكرة الجسديّة هندسيًّا ومرئيًّا؟

1. شكل النّسيج الهندسي المُجرّد وبنائيّة العمل التشكيلي:

نقرأ حول البنائيّة في قاموس مصطلحات الإستيطيقا **لآتيان سوريو/ Etienne SOURIAU**، ما يلي: "اعتُمدت هذه الكلمة في مصطلحات النّقد الفنّي عموما لإبراز التوجّه الفنّي الذي نخصّه لعمل فنّي يتضمّن بناء مُحكمًا وواضحًا، وبذلك تُصبح التكعيبيّة فنًّا بنائيًّا.."[3]. والمقصود هنا بالبنائيّة هو البناء الهندسي في الفضاء التّشكيلي، بناء نسبي متناظر ومتقاطع لتتشابك الخطوط والأشكال الهندسيّة ضمن حقل نسيجي متناغم في شبكة عنكبوتيّة منسوجة، ومن أهمّ خصائصها الحركة والتشابك والبناء الهندسي على المساحة، فوجدت نفسي أبني وأنسج فضاء تجريدي وتعبيري مُختلف، لعب فيه الخيط والجسد دورًا كبيرًا باعتبارهما وسيطان تشكيليان في عملية التأسيس من جديد وفق نسق تسلسلي في الأحداث، الأفعال وخاصة في الممارسة التشكيلية.

كان للحضور الهندسي في أعمالي التشكيلية وقعًا خاصًا، إذ من خلالهِ أسعى في خلق أفعال جسمانية تعبّر عن ذاتي في علاقتها وحوارها المتواصل مع مادّة الخيوط التي تتحرك وفق حركاتي المنبعثة من جسدي. حركات منسوجة تناظريا وفق مقاسات ونسب مُحكمة، جعلت من العمل الفنّي يكتسي طابعا إيقاعيّا من خلال تداخل الخيوط وتشكيلها لخطوط هندسيّة متوازية ومتقاطعة في نفس الوقت، ما شكّل حركة بصريّة متذبذبة تربك العين عند التمعّن المفرط في تفاصيلها، تمامًا كنسيج العنكبوت المنعكس عليه أشعة الشمس عند الغروب. ففي هذا العمل الذي أسميته "خيوط الذاكرة"، ركزت على إبراز التناغم النّسيجي بين الخيط الأحمر والأبيض، رغبة منّي في خلق تضاد لوني ذا سيميائيات وخصائص دلاليّة وتعبيريّة خاصّة تعود إلى مكامن جسدي الذي يعاني من مشاكل صحيّة واختلاف شكلي، إذ أردت أن أترجم معنى الذاكرة المخبّلة في شكل شبكة عنكبوتيّة مُنظمة، بل ومُحكمة التنظيم والهيكلة، في ترابط نسيجي مع الجسد المنحوت والمنسوج في شكل عنكبوت، بهذا التشبيه والتقارب أردت دمج الجسد وتشبيهه بالعنكبوت الناسج الذي ينسج شبكته ليوقع بفريسته في خيوطها، صبر الانتظار والمراقبة مرتبط بالزمان والمكان، كما هو الحال لجسدي الذي طالما انتظر، لكنّه لم يحقق ما كان ينتظره، كنت أنتظر موعد إجراء عمليّة جراحيّة على قدماي اللّذان يشكوان تشوّه خلقي، لكن انتظرت دون جدوى لأسباب أيضا جسدية، وهي رقّة العروق الدمويّة وإشكال في شرايين الدّم، ما أبطل العملية، هذه الذكرى بقيت محفورة في ذاكرتي، لهذا السبب أنا دائم الاستعمال

لخيط الصّوف الأحمر، أشبهه بشريان الدّم، من خلاله أنسج عالمي الخاصّ وأربط أحداثي، ذكرياتي، هو خيط رابط بين ذاكرتي وجسدي الذي كلّما وصلت إلى مستوى القدمين لا أكمل العمل عليهما، أتركهما دون اكتمال، ربّما لست راضٍ عن التشوّه الذي أعاني منه، ولأترك المشاهد يتساءل على عدم اكتمال المنجز الجسدي المنسوج..

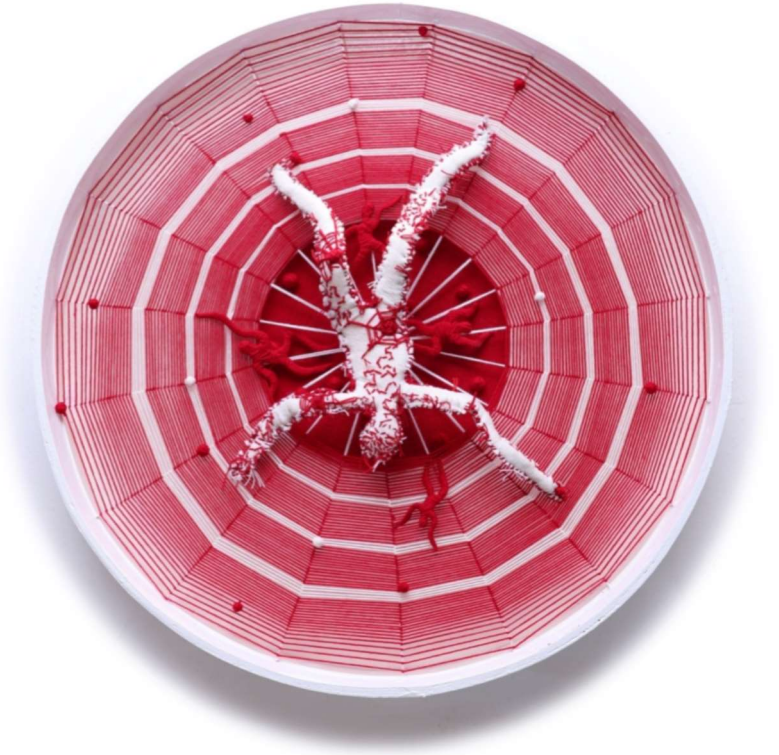

د. فتحي ميساوي،**خيوط الذاكرة**، تقنيات مزدوجة، نسيج/ نحت، فيفري 2023

خيوطا تتحرّك وفق تحركاتي، تنفعل لانفعالاتي وتستجيب لسلطة الأنا الفاعل، النّاسج والممارس للأفعال. خيوطي التي لطالما رافقتني في هذه التجربة الفنّية فوجدت فيها أنس ومؤانسة، بحثتُ فيها عن ذاتي التائهة بين الخطوط والمساحات المشبعة والفارغة، بين الألوان وفي عمق الشبكة العنكبوتيّة التي طوّعتها، عالجتها وجعلتها تلامس جسدي المهيكل في شكل منحوتة منسوجة... إذ في بادئ الأمر كانت الخيوط والأشكال الهندسيّة الناجمة عن فعل النسيج تمثلان فقط أداة ومادّة قمتُ بتوظيفها في تجربتي التشكيلية، إلاّ أنّ هذه المواد والتقنيات أصبحت أفعال بنائيّة قائمة، يرتكز عليها موضوع بحثي وأعمالي التطبيقية. من التشابك إلى التقاطع، ثمّ التحوّل لإعادة التشكيل من جديد، حتى الشّبكة العنكبوتيّة الهندسيّة، أي أن فعل التشابك الخيطي وتعقّد الخيوط وتقاطعها أحدث شبكة نسيجية مُتشابكة ومُعقدة في مادّتها، تتكوّن من أشكال هندسية، تتكرّر ضمن نسق مُنظم لجملة من الخيوط المعقدة،

المتقاطعة، المتشابكة، المتواشجة، المبعثرة...

هذا ما يدعونا إلى ضرورة التّأمل في خصوصياتها والبحث في أعماقها عن خفاياها وأسرار عوالمها المعقّدة، نظرًا لما تحتويهُ هذه الشّبكة من دوافع عديدة تثير فينا الفضول، الإحساس والرّغبة في اكتشاف خفاياها ومعرفة أغوارها الكامنة خلف هذا النسيج المتشابك والمتراص والمعقّد في ظاهرِه، لكنها حتمًا تحمل معاني ورموزًا واضحة في عمق باطنها المادّي في قالب هندسي بسيط ومُجرّد، لكنّه شديد التعقيد ولاسيما إذا اقترن بالجسد وذاكرته الهندسيّة المتشعبة، حسب طبيعة الإنسان وخصوصيات الفنان وذاكرته ومخزونه الموروث من زمن الطفولة، هذه الذاكرة الهندسيّة قد تبني خطوط لنمط تجريدي بنائي لشبكة جسد مُشبّه بالعنكبوت..

2. الأبعاد الدّلاليّة والجماليّة لجسدي المشبّه بالعنكبوت الناسج لفضاء هندسي متشابك:

لئن مثّل العمل الفنّي بمختلف أبعاده مقوّمًا من مقوّمات الإبداع الدلالي في عمق الفكرة وتفرّد التقنيات المستعملة في تحديد ونحت معالم الأثر الفنّي، خاصّة عندما يرتبط هذا الأثر بالوسيط الجسدي، هذا الوسيط الذي من خلاله يتجلّى الإنشاء التشكيلي في الفضاء، وعليه تتمحور مقاربتنا التشكيليّة المرتكزة على جملة من المفاهيم والمفردات التشكيليّة والتقنيّة وخاصّة مفهوم التشكيل الهندسي وأبعاده التجريديّة القائمة على جماليات دلاليّة ورمزيّة في علاقة بالجسد الناسج الذي شبهته بالعنكبوت الذي ينسج عالمه الهندسي المتشابك، فمن خلال هذه المقاربة وجدت لمفهوم التجريد الحركي مكانة كبرى في عملي التّشكيلي، هذه الحركة المتناغمة والمتشابكة، التي شكّلت تقاطعات نسيجيّة في الفضاء وخلقت حركة إيقاعيّة متواصلة، حركة الجسد في أشكاله وإيماءاته المنسوجة بطريقة هندسيّة بنائيّة ساهمت في خلق بعد هندسي متباين الأبعاد والنّسب.

د. فتحي ميساوي، **سهلول**، تقنيات مزدوجة، أفريل 2023

مثّل الشّكل الهندسي المنسوج صنفًا تجريديًّا ذا خصائص بنائيّة وبصريّة متواشجة في الفضاء من خلال حركات خيطيّة متراصّة ومُتواترة، نسجت علاقة تكامليّة بين الأبعاد الهندسيّة للفضاء والجسد وما يحمله من مخزون شعوري وروحاني لمكامن الذاكرة، هذه الذاكرة التي من خلالها نسجت معالم عنكبوتيّة في علاقة بالزمان والمكان، زمن الطفولة وما تركه من ذكريات وحنين للماضي، هذا الماضي الذي استرجعته من خلال نسجي لشبكة خيطيّة الغاية من ربط الأزمنة والذكريات ببعضها البعض في قالب هندسي مُجرّد شكليًّا يتماشى مع متغيّرات الفن وخصوصًا الفنّ المعاصر وتوجهاته الثوريّة القائمة على مبدأ التقنيات والوسائط والمفاهيم التي انعكست على الوجهة الهندسية للفنّ التّشكيلي بخصائص حملت معها المضمون معتمدا على وسائط تقنيّة بهدف إظهار الجانب الحركي في الشكل الهندسي في العمل الذي أسميته "سهلول" نسبة لمستشفى سهلول هذه التّسمية تعود إلى علاقتي الوطيدة بهذا المكان الذي كتبت ذكريات طفولتي على جدرانه بدماء قدماي اللذان أجريت عليهما عمليّة جراحيّة في عمر الخمس سنوات لكنّ العمليّة تكلّلت بالفشل. حيث أمضيت سنوات عديدة في ممرات وغرف هذا المستشفى، في هذا العمل التشكيلي ركزت على عدد "خمسة" مقاربة تشكيليّة وزمنيّة ترتبط بعمري الذي أجريت فيه أوّل عمليّة جراحيّة "5 سنوات" والعدد أيضًا يعود إلى إخوتي الخمس اللذان لهما نفس التشوّه الخلقي في القدمين، عند التمعّن في العمل تجد المشاهد نفسه أمام مفردات تشكيليّة وتساؤلات حول الكمّ والكيف والخامات المدرجة في الأثر الفنّي، مثلا التّوظيف لصور الأشعّة؟ أردت إحياء الذاكرة وتوظيف أشياء حميميّة مرّ عليها ما يفوت العشرون سنة، هذه الصّور بالأشعّة تعود لجسدي، لقدمي التي أخذت محور الاهتمام في العمل التّشكيلي، منها تتفرّع الحكايات والذكريات، وكأنّها بذرة زرعت في قلب المكان أو في فضاء العمل، مُحاطة بكريات حمراء (كبب صوفيّة)، كلّ كبّة هي ذكرى تحمل سرًا بين أليافها مهيكلة في إطار هندسي دائري، وكأنّني أريد إخفاءها وحمايتها ولا أريد إخراجها، لتتفرّع منها خمس أجساد ملفوفة بخيوط حمراء، مُحاطة هي الأخرى بدوائر في عمقها ممرات وأبواب لغرف شكّلتها بنفس الخامة التشكيليّة (صُور الأشعّة) تشبيه لمستشفى سهلول، هذا المكان الذي لي معه ذكريات، ألم ووجع الاختلاف بقي عقدة في حياتي لا أستطيع حلّ تعقيدها، لهذا السبب دائم التوظيف لكبة الصّوف..

أمّا في العمل التشكيلي الذي أسميته "زمن" هو عبارة على منحوتة لعجلة دراجة هوائيّة منسوجة ومُهيكلة بالخيوط الصّوفيّة، إذ في كلّ مرّة أقوم بتوظيف أشياء حميميّة لي معها ذكريات وحكايات، هنا جاء سبب التّوظيف، هو عدم قدرتي على قيادة الدراجة، نظرًا لقدماي المشوّهتان، فالعجز على قيادة الدراجة جعلني أخفي العجلة بالخيوط الصّوفيّة، لطمسها ونسج العجز الذي منعني من قيادتها، فالشّكل الدّائري هو زمن لا نهاية له متواصل كتواصل جذور إعاقتنا وتشوّه أجسامنا من جدّي إلى أبي، إلى جسدي، حلقة أو عجلة زمن لا تتوقّف في استمرار ما لا نهاية له.

د. فتحي ميساوي، زمن، تقنيات مزدوجة، نسيج/ نحت، فيفري 2023

يكتب الفنّان "**عمران القيسي**" حول الأبعاد الهندسيّة في تجربة "**آل سعيد**: "... هي حضور مُجرّد (لوحة آل سعيد) تنتمي تلقائيًّا إلى عالم التّجريد اللاّتلقائي، أو اللاّ تحويري للعالم الخارجي، فهذه اللّوحة التي صارت إظهارا للعالم الباطني توازي في منطق التجريد والهندسة..."[4]. بالتالي يمكن الإقرار بأهميّة الحضور الهندسي في الأعمال التشكيليّة المعاصرة التي أولت للشكل أهميّة كبرى في الإنشاء الفنّي ونسجت حركات تعبيريّة أكثر تجريديّة ضمن تجارب فنيّة ذات أبعاد جماليّة ورمزيّة شاملة ومتفاعلة مع عناصر البناء التّشكيلي والتّقني.

3. تمثّلات الذّاكرة الهندسيّة مرئيًا:

وكأنّني عالقًا في شبكة عنكبوت، في هذا العمل التّشكيلي عملت على أن أجعل خيوطي تتحرّك وفق تحرك فوضوي، وكأنّ الخيوط منفعلة غاضبة، متوترة، ترشق جسدي لتجعله صيدًا عالقًا في هذه الشّبكة العنكبوتيّة لذاكرتي الهندسيّة، إذ أردت من خلال هذا المنجز التشكيلي تصوير الذاكرة في شكل شبكة عنكبوت منسوجة بطريقة مُحكمة يتغلغل الجسد في عمق أليافها ويتصارع مع خيوط النسيان. إذ يقرّ الفنان "نور الدين الهاني "بأنّ المتأمّل في الحوامل و الوسائط الفنية يجد شبكات مُفردية عديدة ومُتنوّعة ، ثمّ لا يلبث أن يُدرك أن مجموع الأشكال المحرّكة للشبكات قليل و أنّ هذهِ الأشكال بسيطة أو مُركبة أو هي علامات قد تكون لها علاقة بالرّموز الوقائية و غيرها..."[5]، وفق كل هذه العلامات التّشكيليّة كان في توظيفي و تكويني لهذه الشبكة غاية فنّية، إذ عرجت على منح خيوطي قيمة تشكيلية تتجاوز هذا التعريف السطحي و الضيّق للمادّة سواء كان عنصر الخيط أو اللّون، حتى تصبح مصدرًا فعليًا

مستقلاً و قائمًا بذاتهِ، ينسج، يبني، يُحيك، يُؤسس، يُشكّل، يربط، يجمع، يلحم يعقد... أردتهُ أن يكون حرًا في التّشكيل والبناء، ينسج نمطا خاصًا يعود لذاتي أوّلا و يَحْبُكُ لحياكة فضاء تشكيلي متشابك يكون الجسد فيهِ صيدًا للمادّة والذّاكرة ثانيًا.

د. فتحي ميساوي، **زمن**، تقنيات مزدوجة، نسيج/ نحت، فيفري 2023

من خلال فعل النّسيج والتّشكيل الهندسي أدركت أن هذهِ المادّة قادرة على التّشكيل والتطويع وفق الحاجة والضرورة التي يفرضها الجسد، إذ تعكس قدرة هذا الأخير على إتقان الفعل والصّنعة في جعل الأداة التي يستعملها تعمل لعملهِ، تستجيبُ لرغبتهِ وسلطتهِ عليها، حيث تعتبر الأداة والتّقنية لهما خصائص تميزهم عن غيرهم من الوسائط الأخرى، لهما القدرة عن ترجمة أحاسيس الذّات الممارسة للفعل. هذا ما وجدته في مادّة الخيوط وخصوصًا في هذه الشّبكة العنكبوتيّة المهيكلة على عجلة دراجة، لما لها من تعبيرات تشكيلية متنوّعة، أوّلها الشّكل الهندسي المتكرّر بصُورة منتظمة ومُتواشجة وما يتولّد عنه من إيقاع حركي متشابك، ثانيها لما له من قدرة عن التحرّك والتوسّع في كامل الفضاء (فضاء الجسد/ فضاء اللّوحة).

هذه الجدلية القائمة بين الجسد والشّبكة ومفهومي التّشابك والتّجريد، من شأنهما إثراء العمل الفنّي وجعلهِ أثرًا لأفعال ومُمارسات كانت ومازالت تربط بين زمنين مُختلفين، حاضر الجسد وماضي المادّة. علاقة تَكَامُلِيَة بين البعد التّشكيلي المتمثل في هذه المفردة التّشكيليّة (الشّبكة) من ناحية وفي التناغم والتلاحم بين الشّكل والحامل من ناحية أخرى (الجسد كفضاء)، تركيبة اتخذت أشكالاً مُختلفة تَوَلَّدَ عنها ثنائية الظاهر والمخفي والأبعاد التي يمكن أن تُثيرها في خضم هذه التّجربة الذّاتية...

4. الأساطير القديمة وتمثّلات الذّاكرة الشّعبية:

لا شكّ في أنّ كلّ عمل فنّي لا يخلو من سياقات جماليّة ومفهوميّة في علاقة مباشرة بالأبعاد الدلاليّة والرمزيّة، والتي من شأنها أن تحيلنا إلى تفكير عميق، لاسيما إذا اقترن المبحث الفنّي بمفهوم الذّاكرة. هذا المفهوم الخيالي والتخيّلي يمكن أن يقودنا إلى مفهوم الأسطورة، أي أنّ ذاكرتنا هي أسطورة شعبيّة لأحداث وخرافات بقيت عالقة في مخيلتنا، إذ في هذا السّياق قمت بربط مفهوم الذّاكرة بأسطورة "**نيث غزل**"[6] تلك الأسطورة المصريّة القديمة، خاصّة أنّ في اشتغالي على تقنيات النسج والحياكة، كان لابدّ لي أن أبحث عن أساطير في علاقة بذات السّياق والتّمشي، إذ كانت أسطورة "**نيث غزل**" أحد أبرز الأساطير المتعلقة بالنّسيج والحياكة.

د. فتحي ميساوي، **نيث غزل**، تقنيات مزدوجة، نسيج/ زيت، فيفري 2023

في هذا العمل التّشكيلي الذي أسميته "نيث غزل" نسبة لأسطورة الآلهة المصريّة القديمة، أردت العمل والتّركيز على جسدي المشبّه بالمومياء والذي نسجت عليه خيوطا من ذاكرة وأسطورة "نيث" بعد تحنيطه، ربّما هو حبّ الخلود والحماية من أثر الزّمن وفعل النّسيان، كمقاربة تشكيليّة تجسّد الآلهة "نيث" في شكل عنكبوت ناسجة لجسدي المشوّه والغريب، كأنّني أريد إخفاء عيوبه وتشوّهه عبر الخيوط. لتبرز العناكب أكثر في المنجز التّشكيلي ويختزل بذلك الجسد المخفيّ خلف نسيج العناكب. لتحاك أسطورة الجسد المشبّه بالعنكبوت في خضم ذاكرة هندسية متشابكة في شِعاعُ عنكبوت معلّق في الفضاء...

الخاتمة:

تبدوا عملية قراءة هذه الشّبكة النسيجيّة والعنكبوتية تحمل في تشابكها أبعادًا فنّية، تجمع بين روح المادّة وقيمتها التّشكيليّة، قراءة تستدعي المشاهد لتتبّع مسار الأثر الجسدي وحركة الخيوط المتقاطعة، المتحوّلة، في عملية استنباط الأشكال وخلق تركيبات نسيجية مُعقدة، فمن خلال هذه القراءة ندرك أنّ لفعل التّشابك منحًى حسيًا، ماديًا، يكوّن معالم خاصّة تنسج صُورة ذاتيّة للأنا في جميع انفعالاتها، شبكة هندسيّة تُترجم مشاعري المبعثرة وأشيائي الطفوليّة، علاقتي الحميميّة بمادّة الخيوط التي تربط بيني، بين ذاكرتي وبين أشيائي القديمة (من تقنيات الحياكة، وسائط النسج، بعض الأماكن...). شكّلت شبكة الخيوط المتحرّكة حركية و ديناميكية إيقاعية على فضاء اللّوحة، حيث تفرّعت في كامل المساحة، غطّت كل فراغ، حتى الجسد المنحوت، خيوط تتحرّك بفعل اللّف من ثمّ السّحب من جديد إذ يُعرّفُ فعل السّحب "بجرّ على الأرض، أو جرّ خلفه: شدّ، حطّ، مدّ، "سحب خيطا أو سلكا"، سحب شبكة صيّد، تحرّر، سحب خيطا من إبرة و سلّهُ..."[7]، جلّ هذهِ الأفعال تعمّق فعل السّحب وتؤكد أنّ هذه الخيوط المرتحلة والمتنقلة على الفضاء الجسدي المنسوج شكّلت فضاءًا هندسيًّا منسوجًا وجعلت من جسدي منحوتة منسوجة (جسد مُخبّل في كُتبة) وكأنّ هذه الخيوط التي طوّعتها في تجربتي التّشكيليّة وتقنيات الحياكة أفرزت نسيجًا يغطي فضائي الجسدي ليصبح الحديث عن المادّة والتقنية باعتبارهما مصدرًا للتّشكيل والتشكّل ليقول "**إيف كلان** ، **Yves Klin**" إنّ عالم المادّة هو انعكاس لعالم روحاني.."[8]، بالتالي فإنّ خيوطي تُحيك عالمين، أحدهما واقعي ملموس في زمن الحاضر، و آخر روحاني افتراضي غير ملموس، أترجمهُ عبر الذّكريات وأنسجهُ وفق ما تمليهُ عنّي ذاكرتي، لأسترجع الماضي وأعيد طرحه من جديد لعلّه يتناغم مع حاضر جسدي وذاتي. لتتشابك الأحداث والأفعال والممارسات في خضم هذه التّجربة الفنّية، التّشكيليّة. في انحناءات هذه الشّبكة الخيطيّة المنسوجة الدّالة عن الحركة، السّرعة، الانسياب، عملت على إعطاء الخيط شُحنة تعبيريّة، ورمزيّة، خيوط مضطربة ذات اتجاهات أفقية سابحة نحو عالم ميتافيزيقي، تجريدي، الذي يُعاكس عالم التنزيل العمودي الأرضي الزّائل... هذان العالمان "الخيوط العلوية العمودية/ الخيوط السفليّة الأفقيّة" هما عالم الواقع وعالم التّجريد، هما التّناقض بين المادّي واللاّمادي اللّذان يظهران متقاطعان ومتباعدان، لكنّهما في الحقيقة متقاربان ومتناغمان ومنسجمان في فضاء العمل بين: الجسد/العنكبوت والذّاكرة/ الهندسيّة...

الهوامش:

---

[1] Etienne SOURIAU, Vocabulaire d'esthétique, Paris, PUF, 1990, Texte d'Anne Souriau, p., 791.

[2] Francis BACON, Entretien avec Michel Archambaud, Paris, collection Folio Essais, Gallimard, p.,p, 140-141.

[3] Etienne SOURIAU, Vocabulaire d'esthétique, Paris, PUF, 1990, Texte de Noémi Blumenkranz, p., 464.

[4] عمران القيسي، غائيّة الفنّ في زمن المتغيّرات المتسارعة، الشارقة، بيانيلي الشارقة الدّولي للفنون- الدورة السادسة، 2003. ص. 162.

[5] نور الدين الهاني: الوظائف التوليدية للمُفردة التشكيلية 2001، ص 18.

[6] آلهة الحرب والنّسيج، ووفقا للأساطير كانت الآلهة نيث خالقة العالم وأمّ الشّمس في مصر القديمة، وكانت تصوّر بامرأة تمسك المغزل أو حتّى السّهام. ممّا يوحي بقوتها وقدرتها على الصّيد، وتذكر بعض النّصوص أنّ الآلهة نيث هي من كانت تغزل الخيوط التي تغلّف المومياوات لحمايتها.

[7] المعجم في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق للنشر والتوزيع، تونس 2000، ص 169.

[8] Yves Klin, Histoire matérielle et immatérielle de l'art moderne, éd, Bordas, P 222.